لم يستخدم رمز البئر ودلالته حتى النهاية إن لم يكن قد اساء الاستعمال حتى في حدوده الضيقة. فعندما يذهب «جواد» - وهو شخصية ذهنية الى حد ما - الى البئر و «يحاول تجاوز خوفه» يقع في ايدي الاعداء. هنا يبدو استعمال الرمز ساذجا من ناحية، ومناقضا لدلالته الحقيقية من ناحية ثانية. يمكن ان نضيف الى النقد السابق نقدا جديدا حول الاسلوب واللغة: مما لا شك فيه ان «فيصل حوراني» غير مأخوذ لا بالاشكال الفنية ولا بـ «اللعبة اللغوية» وهذا حقه، ولكن من حقنا عليه ايضا ان نطالبه باهتمام اكبر باللغة وبالصنعة الادبية.

بالرغم من النقد السابق، فإن رواية «فيصل حوراني» هي احدى افضل الروايات الفلسطينية في السنوات الاخيرة؛ فهي ليست رواية هامشية تحكي مصائر فردية بل تحكي عن حركة شعب، كما انها ليست رواية تجريدية لانها حاولت، ونجحت في حدود معينة، في اعادة انتاج واقع القرية الفلسطينية. وفي ابتعادها عن الهامشي والذهني تقترب من قلب الصراع الوطني الذي يخوضه الشعب الفلسطيني.

الفلسطيني الطيب - علي فودة:

في روايته الاولى، يحاول علي فودة ان يرسم صورة «الانسان الفلسطيني» ممثلة في مصائر اربع شخصيات، تختلف في اصولها وبدايتها، وتتماثل، او تكاد، في نهاياتها. شخصيات اربع تغادر حدود طفولتها وتدخل في الزمن الفلسطيني ليعيد صياغتها من جديد. ورغم شكل النهاية التي جاءت، او التي لم تجيء، فإن قدر هذه الشخصيات يتحدد بوسم الصراع والمطاردة. والوسم هنا سهل التحديد، يتجلى في الزمان والمكان والكلمات، بدءا من اطياف جنين وصولا الى جنوب لبنان مرورا بسعير اسمه «ايلول عمان».

يود المشروع الروائي، اذن، ان يكتب الواقع الفلسطيني، لكن كلمة «الواقع» عامة او تدخل في مقولة العام، والرواية، فنيا، لا تقول العام بل تتعامل مع الخاص، اي تتعامل مع وضع خاص، والوضع هنا يتكون في مسار الشخصيات وتقاطعها. اذا كان المسار التاريخي يمنح مصداقيته من حوامله الفنية فإن السؤال هنا يتضاعف ويصبح ثنائي الدلالة: ما هو وضع هذه الشخصيات في الاطار الاجتماعي الفلسطيني العام؟ وما هي حدود تطور هذه الشخصيات فنيا في رواية علي فودة؟ يعثر السؤال الاول على اجابته في وضع الشخصيات التي تتحرك في الرواية؛ وهي شخصيات هامشية (شاعر نقي، وشاب ميسور اخلاقي النزعة، وناقد انتهازي ذو اصل فقير، وعامل...). ان الوضع الاجتماعي لهذه الشخصيات في خصائصها (طموحاتها، تناقضاتها، اوهامها...) يجعلها غير قادرة في مسارها العام على انتاج صورة الوضع الفلسطيني في سماته العامة، لذلك فهي لا تمثل المصير الفلسطيني بل مصائر فلسطينية. اضف الى ذلك ان هذه المصائر لا تأخذ مصداقيتها الموضوعية الا من خلال الشكل الفني الذي حكم حركتها، وهنا نصل الى السؤال الثاني الذي يطرح مسألة الحدود الفنية لتطور الشخصية، او نصل بشكل اكثر دقة الى السؤال التالي: ما هو شكل الوعي الايديولوجي الذي كتبت فيه تلك الشخصيات،